| | |
|---|---|
| جمهورية مصر العربية | ٧ ذو القعدة ١٤٤٢ هـ |
| وزارة الأوقاف | ١٨ يونيو ٢٠٢١م |

(١)

## الحج في زمن الأوبئة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، القائل: (الحَجُّ مَرَّةً، فمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فقد تميزت الشريعة الإسلامية باليسر، والمرونة، ورفع الحرج عن الناس، ومراعاة أحوالهم وقدراتهم وظروفهم الزمانية والمكانية، حيث يقول (عزَّ وجلَّ): {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}، ويقول سبحانه: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}، ويقول تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَيَسِّرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)، وحين بَعَثَ نبينا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَبَا مُوسَى، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ (رضي الله عنهما) إِلَى اليَمَنِ، قَالَ لهما موجهًا وناصحًا: "يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا".

والمتأمل في أركان الإسلام- ومنها الحج- يجد أنها تخاطب المستطيع الذي يقدر على الأداء، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ؛ شَهادةِ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصَومِ رمضانَ، وحجِّ البيتِ لمنِ استطاعَ إليهِ سبيلًا)، فالاستطاعة مناط التكليف بعد العقل والعلم، حيث يقول الحق سبحانه: {لَا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}، ويقول تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}.

والاستطاعة أنواع؛ منها: الاستطاعة البدنية التي تعني سلامة الجسد عن الآفات المانعة من أداء الفريضة، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: "نَعَمْ"، ومنها: الاستطاعة المالية التي تعني القدرة على نفقات العبادة، فمن لم يجد مالًا للحج سقط عنه الفرض حتى يتوفر له المال.

ومنها: الأمن والأمان للوصول إلى البيت الحرام، سواء أكان أمنًا من عدو، أم أمنًا من الأوبئة، ولما كانت شعيرة الحج تجمع المسلمين من كل فج عميق؛ أصبح الخطر والضرر على حجاج بيت الله الحرام من أثر الأوبئة وانتشارها وسط الزحام قويًّا، وهو ما يقتضي منع الناس من أن يخاطروا بأنفسهم إلى التجمعات الكبيرة أيًّا كان نوعها أو مقصدها؛ لأن حماية النفس من الضرر والهلاك من الكليات الست التي جاءت الشريعة بالحفاظ عليها؛ ولذا كان لولي الأمر القائم على شأن الحج أن يتخذ من الإجراءات ما يضمن سلامة الأنفس، كما لسائر الدول أيضًا أن تتخذ من الإجراءات ما يؤمِّن مواطنيها، حيث يقول تعالى: {وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، ويقول سبحانه: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}.

وإن القارئ لأحداث التاريخ يجد أن الأمة الإسلامية مرت بسنوات عُطِّل فيها الحج كليًّا أو جزئيًّا أكثر من عشرين مرة بسبب انتشار الأمراض والأوبئة، أو عدم أمن الطريق، أو ظروف طارئة لبعض الدول عطَّلت حج أهلها.

***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من كمال الشريعة الإسلامية أنها عظمت من أمر النية، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إنّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى)، فكل إنسان مأجور بنيته، وكم من مسلم يبلغ أرفع المنازل بصدق نيته، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ سأَلَ اللَّه تَعَالَى الشَّهَادةَ بِصِدْقٍ بلَّغهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَداءِ وإنْ ماتَ على فِراشِهِ)، وفي عودته (صلى الله عليه وسلم) يوم تبوك قال لأصحابه: (إنَّ بالمَدِينَةِ لَرِجَالًا ما سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إلَّا كَانُوا معكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ).

ومن هنا فينبغي للإنسان أن يحسن التجارة مع الله سبحانه؛ فإذا حيل بينه وبين عبادة لعذر، فعليه أن يغتنم غيرها، ومَن أدّى المتيسّر سقط عنه المتعذّر، وفي المتاح سعة بالغة، ولا أفضل من الإسهام في مواجهة الأوبئة بتوفير الأجهزة أو المستلزمات الطبية للمستشفيات، ودعم الفقراء والمساكين، وقد قدَّمَ نبينا (صلى الله عليه وسلم) قضاء حوائج الناس على الاعتكاف في مسجدِه، يقول (صلى الله عليه وسلم): (أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ- يَعْنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا).

**اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**